

مُصَنَّفَاتُ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ

(الطبعة ١٣٤٣ هـ)

٢٨



1000th ANNIVERSARY
INTERNATIONAL CONGRESS
OF (SHEIKH MOFEED)

رِسَالَتُهُ حَوْلَ

خَيْرِ مَارِيَةٍ

المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية لوفاته الشيخ المفيد



رِسَالَةُ حَوْلِ

خَبَرِ مَارِيَةِ

تأليف

الإمام الشيخ المفيد
محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم
أبي عبد الله، العكبري، البغدادي

(٢٣٦ - ٤١٣ هـ)

رسالة حول خبر مارية	الكتاب :
الشيخ المفيد (ره)	المؤلف :
الشيخ مهدي الصباحي	تحقيق :
الأولى	الطبعة :
١٤١٣ هـ ق	التاريخ :
المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد	الناشر :
مهر	المطبعة :
كامبيوست الحوراء (ع)	صفّ الحروف :
٢٠٠٠	الكمية :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جهد أعداء الإسلام منذ البداية في الإساءة إليه، وتشويه سمعته عند عامة الناس بشتى الأشكال، إن باتهام شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بالسحر والكذب، وما إلى ذلك من الافتراء والفحش. أو الإساءة إلى تعاليمه والمقدسات التي عظمها، بالسخرية والتزييف والتكذيب.

لكنهم واجهوا في شخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عملاقاً، لا تمسه أوهام التهم، وصادقاً لا يشوبه شبح الكذب، وأميناً، حكيماً، مدبراً، ذا خلق عظيم، تخضع له القلوب قبل الرقاب، وذا شخصية قوية رفيعة القمة لا يرقى إليها طير أحلامهم، في السمو والشموخ والعظمة. وواجهوا من تعاليمه، في قرآنه وسنته، سداً منيعاً من القيم والشيم والدروس، والمخططات الناجحة، والأهداف السامية، السريعة الأثر في النفوس، لا تنفذ فيها سهام الحقد الجاهلي، والنصرة الطائفية، وكبر العنصرية، ولا تلوثها الدعايات المغرضة.

ولما رأوا الأبواب تلك أمام بغيتهم موصدة، لجأوا إلى الشغب والتشويش

من خلال ما ومن يتصل به من المتعلقين والأطراف والأصحاب رجالاً ونساءً، وهم بشر، ممن لم يعتصموا بكلّ التعاليم إلى حدّ الكمال والعصمة والخلق والأمانة والعفة، فبالإمكان اختراقهم، أو دفعهم على ما لا يليق، أو اتهامهم في مجتمع ساذج جاهليّ متخلف فلذلك، حاول أعداء الإسلام تلطيخ سمعة بعض نسائه، حيث أن اتهامهن مثار لسقوط اعتبارهن عن الأعين فيمس صاحب البيت من ذلك شيء، وهو غاية ما يبغيه الحقراء الحاقدون!

فوجدوا من بعض نسائه ضعفاً في الالتزامات الخلقيّة تجاه الرسول نفسه، أو تجاه أهل بيته، و سائر زوجاته، إلى حدّ المظاهرة عليه، وإفشاء بعض ما أسرّ إليها، فعرّفوا أن بالإمكان اختراقها وتحريك أحاسيسها وهي امرأة، وخاصةً تجاه ضرائرها.

و هذا ما حصل في قصة مارية القبطية، زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأم ولده إبراهيم.

والقصة حدثت بالضبط عندما ولدت هذه السيّدة الطيبة ابن رسول الله إبراهيم.

و ما أيسر أن تُثار زوجة عاقر، ضد ضررتها التي ولدت ابناً!
و ما أشدّ حقد زوجةٍ تعتدّ بجمالها، وانتماءها القبليّ، ضد ضررتها التي هي أمة مهداة!

إنّها نوافذ مهمما حقرت أو كبرت، يمكن أن ينفذ أعداء النبي صلى الله عليه وآله وآله وسلم، وهم شياطينة قريش أو أرذال بني تميم، و طغاة بني عديّ، لتسنيء إلى كرامة الرسول، الذي سفّه أحلامهم، وكسر كبرياءهم وغرورهم، وأرغم أنوفهم! وأطلقهم عبيداً وقد كانوا سادة، لسادة كانوا لهم عبيداً.

إن عائشة هي التي أثارت التهمة ضد السيدة أم إبراهيم: مارية القبطية، فقدفتها بأن ولدها ليس من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما هو من ابن عمها جريج القبطي، الذي كان يخدمها، وكان كلام عائشة خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله مباشرة!

فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال لعلي عليه السلام: خذ سيفك - يا علي - وامض إلى بيت مارية، فإن وجدت القبطي فاضرب عنقه! وهكذا أغضبت عائشة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث أصبحت ألعوبة بأيدي أعداء الإسلام، وهي في داخل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ولذا أعلن الرسول غضبه، وأطلق هذا الأمر، ليعبر عن سخطه ودفاعه عن شرف بيته.

ولكن أمير المؤمنين عليه السلام تلميذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم أن الأمر في مثل هذا الموقف، ليس إطلاقه مراداً، لأنّ التعاليم الإسلامية تقيده، فلذلك راح يعلن هذه الحقيقة للسامعين فاستفسر ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، وقال: إني تأمرني - يا رسول الله - بالأمر، فأكون فيه كالسبيكة المحماة في ذات الوبر، فأمضي لأمرك في القبطي، أو «يرى الشاهد ما لا يرى الغائب»؟!

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: بل «يرى الشاهد ما لا يرى الغائب».

فمضى أمير المؤمنين عليه السلام إلى بيت مارية القبطية، فوجد القبطي فيه، فلما رأى السيف بيد أمير المؤمنين عليه السلام صعد إلى نخلة في الدار، فهبت ريح كشفت عن ثوبه، فإذا هو ممسوح، ليس له ما للرجال!

فتركه أمير المؤمنين عليه السلام وعاد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأخبره الخبر، فسري عنه، وقال: الحمد لله الذي نزلنا أهل البيت مما رمتنا به أشرار الناس من سوء.

فخاب الأشرار والشريرة التي أصبحت آلة في أيديهم فيما سعوا إليه من تشويه سمعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باستهداف زوجته السيدة مارية أم إبراهيم.

وقد أثار هذا الحديث تساؤلات عديدة أوجبت لكثير من الناس:

١- فرقة من الغلاة الكفرة، المنتحلة للزيف، قالوا: إن قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «يرى الشاهد ما لا يرى الغائب» رمز إلى نفسه - الشاهد - وأن الأمر له في الباطن، وإن النبي هو الغائب.

٢- قالت المعتزلة من العامة بجواز الخطأ في الأحكام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم وزعموا: أن الأمر بقتل القبطي - مطلقاً - كان خطأ، عرفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فنبه الرسول بالاشتراط.

٣- الفرقة المنتسبة إلى موسى بن عمران القائلة، بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم كان يشرع لهم بالنص تارةً، وبالأختيار أخرى وأنه كان مفوضاً إليه القول بالأحكام بما شاء وكيف شاء!

٤- ذهب أصحاب الرأي والاستحسان من متفقهة العوام إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحكم بالرأي ثم يرجع عنه، حسب ما يراه في كل حال.

٥- والزنادقة جعلوا ذلك حجة في الطعن في النبوة.

ولكن لهذا الحوار، الذي وقع بين النبي وعلي عليه السلام، وجوه واضحة

في الحق، لا تخفى لمن وقف عليها من ذوي الانصاف، وهي:
الأول: أن الأمر الصادر من العقلاء، إطلاقاً وتقييداً، وإجمالاً وبياناً،
تتبع معرفة المأمورين ومدى ذكائهم، ومقدار عقلهم وإدراكهم، فإن كان المأمور
متوسطاً في الذكاء والعقل والمعرفة احتاج إلى تأكيد وزيادة بيان، وإن كان المأمور
دون ذلك في المعرفة والعقل والذكاء احتاج إلى الشرح والتفصيل والتوضيح
والإعادة والتكرار، وإن كان فائق الذكاء والمعرفة والعقل لم يحتج إلى شيء من
التأكيد ولا البيان، ويكتفى معه بالإجمال والإطلاق.

وكذلك، بحسب الثقة بالمأمور في طاعته، والسكون إلى سداده وضبطه،
يختلف اخذ الموقف منه بالتأكيد وعدمه.

قال الشيخ المفيد: وهذا بين، متفق عليه أهل النظر كافة، وجمهور العقلاء،
فلا حاجة بنا إلى تكلف دليل عليه.

وحاصله: أن معرفة الراوي ومداها، لها الأثر الواضح في تشكّل النصّ
الذي يليه الإمام إليه للدلالة على قضية أو حكم.

ولذلك يكون الوقوف على مبلغ علم الراوي ومعرفته الفكرية والفقهية
لها الأثر في تبلور النصوص التي يرويها عن الإمام عليه السلام، وخاصة في
وضوحه وبيانه، أو إجماله، وكذلك في الخصوص والعموم، وما إلى ذلك.

وعلى هذا، فيما أن النبي صلى الله عليه وآله كان بصدد دفع التهمة عن
زوجته، لتنزيه العائلة المنتسبة إليه، وإنما استهدف القبطي لمجرد كونه محلاً لتهمة
أولئك الأشرار، لا أن القبطي كان (مطلقاً) مهدور الدم؟

فلذلك أطلق النبي صلى الله عليه وآله الأمر، وأوكل تقييده إلى علي
عليه السلام، ولو كان غير علي عليه السلام مأموراً بذلك لفصل له النبي صلى

اللّه عليه وآله وسلم و لم يترك الأمر مطلقاً غير مبين التفصيل !.

ثم إنّ هذه العملية دليل على فضل علي عليه السلام، حيث أنه كان عالماً بتفاصيل الأحكام الشرعية، فأظهر الاشتراط، وأخبر به قبل أن يخبره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ليكشف بذلك عن فضله وعلمه .

واعلن علي عليه السلام عن ذلك، بلسان السؤال عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه أكثر توغلاً في الأدب، ولثلا يسيء الأدب مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم إن علياً عليه السلام لو لم يعلن عن هذا التفصيل، الذي أعلنه بلسان السؤال، وكان يعمل طبقاً لما عرفه من الحكم بالتفصيل، لو لم يفعل ذلك لاتهمه المغرضون بمخالفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، حيث لم ينفذ أمره بقتل القبطي مطلقاً.

فكان في إطلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سؤال علي عليه السلام و كشفه عما تضمنه الكلام من الأحكام و التي استنبطها الإمام عليه السلام من الفوائد في فضلها و عصمتها و نطقهما بالحق، ما بيناه و أوضحناه .

الوجه الثاني في توجيه الحديث :

أن يكون القبطي مهذور الدم، لدخوله بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذن، وعلى غير إخبار منه له .

و لم يكن الأمر كذلك لعليّ عليه السلام، فلذلك سأل عن التفصيل .

الوجه الثالث: أن يكون حكم قتل القبطي مفوضاً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و آله مطلقاً، ففوضه إلى عليّ عليه السلام مشروطاً .

وهذا يدل على مشاكلة الإمام عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في

العصمة والكمال، ومساهمة في ولاية الأمر من تقرير الدين والأحكام بين العباد.

وبعد: فإذا ثبت للحديث توجيهه على أي من الوجوه المتقدمة، بطلت جميع الشبه المذكورة، التي أثارها الفرق الضالة المزبورة لأن ما التزموه يكون خارجاً عن المحتوى المفهوم من النص، وإنما تصبح دعاوى فارغة، مجردة عن الدليل، إذ أن النص إذا كان له تأويل عقلائي، ومعنى صحيح ومعقول عند الحكماء، لم يكن للعدول عنه طريق، إلا التحكم بالأمانى الخائبات. والحمد لله على كل حال.

وكتب

السيد محمد رضا الحسيني

الجلالي

رسالة حول خبر مارية

نسخ الرسالة :

اعتمدت في تحقيق الكتاب على النسخ التالية حسب أسبقيتها في التاريخ بالنسبة الى عصر شيخنا المفيد - قدس سره الشريف -

١ - النسخة المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي العامة في قم ، في ضمن مجموعة برقم ٢٤٣ ، عليها تملك محرم سنة ٨٨٨ هـ . وقد عرف في فهرس المكتبة بـ «النص في علي عليه السلام» وهي صفحة من أولها، وسقطت منها الصفحات الأخيرة .

ونرمز إلى هذه النسخة بحرف «ن» .

٢ - النسخة المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي العامة في قم أيضاً ، في ضمن مجموعة برقم ٢٥٥ ، نسخها عبد الحميد بن محمد مقيم ، خطيب عبد العظيمي . تاريخ انتهاء النسخ في نهاية المجموعه : ١٧ ربيع الأول ١٠٥٦ هـ .

ونرمز إلى هذه النسخة بحرف «ب» .

٣ - النسخة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في طهران ، ضمن المجموعة المرقمة ٨ من الكتب المهداة إلى المكتبة من قبل امام

الجمعة الخوئي ، من مخطوطات القرن الحادي عشر الهجري .

ونرمز الى هذه النسخة بحرف «م» .

٤ - النسخة المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي العامة في قم أيضاً ،

ضمن المجموعة المرقمة ٧٨ . من مخطوطات القرن الثالث عشر الهجري .

ونرمز إلى هذه النسخة بحرف «ى» .

٥ - النسخة المحفوظة في مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف ،

ضمن مجموعة المرقمة ٩٩٨ تاريخ الانتهاء من نسخها سنة ١٣٣٤ الهجري

بخط الشيخ محمد بن الشيخ طاهر السماوي ، فلمها موجود في المكتبة المركزية

لجامعة طهران برقم ٣٣٤٣ .

ونرمز إلى هذه النسخة بحرف «س» .

٦ - النسخة المطبوعة في النجف الأشرف ضمن رسائل المفيد عام

١٣٧٠ هـ . ق .

ونرمز الى هذه النسخة بحرف «ط» .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم الملائكة الحق المنين
سألتني طال الله لنا السيد السريف الفاضل الخليل
أدام الله بانيده ونعمته وتوفيقه رجل من المعزلة عمر
أحمر المروى عن النبي صلى الله عليه وآله في قصة مارية
القبطية رحمها الله وما كان من قير في بعض الأرواح
لها ما نزعها وقول النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي
أنا في طال الله عليه السلام خذ سيفك يا علي وأضربني في بيت
مارية فإن فطنت القبطي فيه فأضر عقه فقتلته
أمير المؤمنين عليه السلام أنت يا علي يا رسول الله ما الأمر
فأكون فيه فأنت كره المجاه في ذات الوتر طمعي لا
في القبطي أو يركي الشاهد ما أرى العالم لا فقال له
السلام يا نوري الشاهد ما أرى القاسم حتى أمير المؤمنين
عليه السلام إلى بيت مارية القبطية فوجد القبطي فيه فلما
رأى السيف بيد أمير المؤمنين عليه السلام صعد إلى حمله
في الدار فثبت ربح كسفت عنه ثوبه فإذ هو مسموم ليس
له ما للرجال فتركه أمير المؤمنين عليه السلام وعاد إلى
النبي صلى الله عليه وآله فأحرم الخمر وقرب عنه وقال الخدم
له الذي نفعنا أهلاً البيت عما يروى أنه أشر الناس من السوء
والجدب مشهور ولما قصته عدا أهل العلم بدور فقال
السائل هل هذا الخبر عندكم ثابت صحيح قلت هو
سليم نطرح على ثوبه الجميع فقال خير في الدان ما وده

وقد كان خاتماً في البيت خاتماً
مرحى الخليل

السلام

الى طالع عليه السلام وخذ سيفك يا علي وامن
 الى بيت ماري فان وجدت القبطي فيه فاقتر
 عنقه فقال له امير المؤمنين عليه السلام
 انك يا ماري يا رسول الله بالامرفاكون فيه
 كالسكك المحماة في ذات المورفا عضي له
 في القبطي او يرى الشاهد ما لا يرى القبط
 فقال له النبي عليه السلام من بل يرى الشاهد
 ما لا يرى القبطي فقال له النبي عليه السلام
 بل يرى الشاهد ما لا يرى القبطي فمضى
 امير المؤمنين عليه السلام الى بيت ماري القبطي
 فوجد القبطي فيه فلما راى السيف مده
 امير المؤمنين عليه السلام مده الى خله
 في الدار فمضى ككشفته عن ثوبه فاذا هو
 مسح ليس له مالرجا لفتوكة امير المؤمنين
 عليه السلام ووعاد الى القبطي الذي عليه السلام
 فاخبره الخبر فسيارى عنده قال الحمد لله
 نزلنا اهل البيت عما يريدنا براشور
 الناس من السوء والحديث مشهور وروى
 عن اهل البيت المذكور فقال السائل
 هذا الخبر عندكم ثابت صحيح قلت اجل هو
 خبر مسلم يصطح على ثبوته اجمع فقال اخبرني
 لسان ما وجد اطلاق القبط عليه السلام
 الا من نفس على المهتم من عندهم

فستري

لما يوجب

وقد كان له وقع أثبت خاله وعموه، آية الله العظمى،
 في حياته.

بسم الله الرحمن الرحيم الميم
 على ما قاله الله تعالى السيد الشريف الفاضل الجليل آية الله تعالى
 ونوفيه رحمه من المعتزلة عن الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله
 في قصة مارية القبطية وحماها الله وكان من قرو بعض الأرواح لها
 بل من عتيا وقول النبي صلى الله عليه وآله لا مير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه
 السلام سيفك يا علي وأمرني بيت مارية فان وجدت القبطي فيه
 فاضرب عنقه فقال له امير المؤمنين عليه السلام انك امرؤ ناسر الله الام
 فاكون فيه كالسكة الحماة في ذات لوب فامض الامر في القبطي ويرى
 الشاهد ما لا يرى الغائب فقال له النبي عليه السلام بل ترى الشاهد ما لا يرى
 الغائب فمض امير المؤمنين عليه السلام الى بيت مارية القبطية فوجد القبطي
 فيه فلما رأى السيف بيد امير المؤمنين عليه السلام صعد الخلة في الدار
 فثبت ربح كسفت عنه ثوبه فاذا هو ممسوح ليس له والدار فتركه
 امير المؤمنين عليه السلام وعاد الى النبي صلى الله عليه وآله فاخبره الخبر
 فسرى عنه وقال الحمد لله الذي قرنا أهل البيت عمارينا بأهل
 النار من التورى الحديث مشهور وقصصه عند أهل العلم مذكور
 فقال السائل هل هذا الخبر عندك ثابت صحيح قلت اجل هو خير وسلم

بسم

ومجرد من بيان كما اصحابها في التعلق بها الى الاضرار بها العدم
 للجنة بما ذكرناه فيها على زعمهم وقومهم الفاسد وظنهم الخيال
 فاذا ثبت لضمون الخبر من الاوجه الصحيحة ما اثبتنا وكان في
 الامكان على اذكرناه لم يكن العذر عند طريق الاثبات الا ما في
 الحاسات والحدس فقل السائل هو كذلك ولا ينبغي للعاقلة ان
 يظلم نفسه بمكاره الحق والالحام رب الله التوفيق وصلواته
 على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين ع
 فتم بحمد الله ومنه

وقف كتابخانه و قرائت خانه عمومى آيت الله العظمى
 ر.م.ش. نجفى - قم

بسم الله الرحمن الرحيم

الملك الحقّ المبين

سألني - أطل الله بقاء السيّد الشريف، الفاضل الجليل، وأدام الله تأييده ونعمته وتوفيقه - رجل من المعتزلة عن الخبر المروي عن النبيّ - صلّى الله عليه وآله - في قصة^(١) مارية القبطية - رحمها الله - وما كان من قذف^(٢) بعض الأزواج^(٣) لها بابن عمها، وقول النبيّ - صلّى الله عليه وآله - لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - عليه السلام -: خذ سيفك يا عليّ وامض إلى بيت مارية، فان وجدت القبطي فيه فاضرب عنقه .

فقال له أمير المؤمنين - عليه السلام -: إنك تأمرني يا رسول الله بالأمر، فأكون فيه كالسكة المحمّة في ذات الورد؟، فأمضي لأمرك في القبطي، أو يرى الشاهد ما لا يرى الغائب؟

فقال له النبيّ - صلّى الله عليه وآله -: بل يرى الشاهد ما لا يرى

الغائب .

(١) م وب : قضية .

(٢) ر . س : قول .

(٣) كتب في هامش ي : وهي عائشة .

فمضى أمير المؤمنين - عليه السلام - إلى بيت مارية القبطية، فوجد القبطي فيه، فلما رأى السيف بيد أمير المؤمنين - عليه السلام - صعد إلى نخلة في الدار، فهبت ريح كشفت عنه ثوبه، فاذا هو ممسوح، ليس له ما للرجال، فتركه أمير المؤمنين - عليه السلام - وعاد إلى النبي - صلى الله عليه وآله - فأخبره الخبر، فسُرِّي عنه، وقال: أَلحمد لله الذي نزهنا أهل البيت عما يرمينا به أشرار الناس من السوء^(١).

(١) نقل السيّد المرتضى - قدس سره الشريف - في أماليه - ج ١/ ٧٧ - هذا الخبر هكذا: روى محمد بن الحنفية - رحمه الله عليه - عن أبيه أمير المؤمنين - عليه السلام - قال: كان قد كثر على مارية القبطية أم إبراهيم في ابن عم لها قِبطي كان يزورها، ويختلف إليها، فقال لي النبي - صلى الله عليه وآله -: «خذ هذا السيف وانطلق، فان وجدته عندها فاقتله». قلت: يا رسول الله، أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحيطة، أمضي لما أمرتني، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال لي النبي - صلى الله عليه وآله -: «بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب». فأقبلت متوشحاً بالسيف، فوجدته عندها، فاخترطت السيف، فلما أقبلت نحوه عرف أنني أريد، فأتى نخلة فرقى إليها، ثم رمى بنفسه على قفاه، وشعر برجليه، فاذا إنه أجب أمسح، ما له مما للرجال قليل ولا كثير، قال: فغمدت السيف ورجعت الى النبي - صلى الله عليه وآله - فأخبرته: فقال: «أَلحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت».

وذكر قصة مارية القبطية علي بن إبراهيم القمي في تفسيره ذيل الاية الشريفة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ . . .﴾ من سورة النور - ج ٢/ ٩٩ - حدثنا محمد بن جعفر، قال حدثنا محمد ابن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، قال حدثنا عبد الله (محمد - خ ل) بن بكير، عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر - عليه السلام - يقول: لما مات إبراهيم بن رسول الله - صلى الله عليه وآله - حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشة ما الذي يحزنك عليه، فما هو إلا ابن جريح، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - علياً وأمره بقتله . . . وذكر - أيضاً - علي بن إبراهيم القمي ذيل الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جِئَكُمْ فَاسِقُ بِنْبًا . . .﴾ - ج ٢/ ٣١٨ - فأنها نزلت في مارية القبطية أم إبراهيم - عليه السلام - وكان سبب ذلك ان عائشة قالت لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ان ابراهيم ليس هو منك وإنما هو من جريح القبطي، فأنه يدخل إليها في كل يوم، . . .

والحديث مشهور وتفصيله عند أهل العلم مذكور.
 فقال السائل: هذا الخبر عندكم ثابت، صحيح؟
 قلت: أجل، هو خبر مسلم، يصطلح على ثبوته الجميع.
 فقال: خبرني إذن^(١) ما وجه إطلاق النبي^(٢) - صَلَّى الله عليه وآله -
 الأمر بقتل نفس على التهمة، من غير يقين^(٣) لما يوجب ذلك منها؟
 وما وجه اشتراط^(٤) عليّ - عليه السلام - الرأي عند المشاهدة، وسؤاله
 عن امتثال الأمر على كل حال، أو على بعض الأحوال؟
 وهل لاختلاف الحال في هذين المعنيين عندك وجه تذكره ببرهان^(٥)؟
 فقلت له: قد تعلق بمضمون هذا الخبر طوائف من الناس، كل
 طائفة بنى^(٦) مذهباً لها، تأسيسه على الفساد:
 فمنهم: الغلاة، المنتحلة للزيغ، زعمت أن أمير المؤمنين - عليه
 السلام - رمز بذكر: «الشاهد الغائب»، وعنى بمقاله: أنه مشاهد جميع
 الأشياء، وأن الأمر له في الباطن والتدبير، دون النبي - صَلَّى الله عليه وآله -.
 ومنهم: العامة والمعتزلة، المجوزة على النبي - صَلَّى الله عليه وآله -
 الخطأ في الأحكام، زعموا أن إطلاق الأمر منه بقتل القبطي كان غلطاً، عرفه
 أمير المؤمنين - عليه السلام - فنبهه بالاشتراط عليه، فلما سمع النبي - صَلَّى
 الله عليه وآله - منه، رجع^(٧) إلى الصواب.

(١) ط: اذاً عن البيان، ي: الآن.

(٢) من هنا إلى آخر الرسالة ساقط من نسخة ن.

(٣) ط: تعيين.

(٤) ي وس: اشتراط، م وب: استشرطه.

(٥) ط: وجه وبرهان تذكره.

(٦) ي: يبني عليه.

(٧) ي: رجع عنه.

ومنها: الفرقه المنتسبة إلى موسى بن عمران^(١)، القائلة بأن النبي -

(١) هكذا في جميع النسخ، ولم نظفر على عنوانه في الكتب الرجالية ولا الكتب التاريخية، ولا في أصحاب الفرق الإسلامية من المفوضة، من قبل زمن شيخنا المفيد إلى عصره. ولكن تعرض السيد المرتضى علم الهدى في «الذريعة إلى أصول الشريعة، ج ٢/٦٥٨» - في القول في أنه لا يجوز أن يفوض الله - تعالى - إلى النبي - صلى الله عليه وآله - أو العالم أن يحكم في الشرعيات بما شاء، إذا علم أنه لا يختار إلا الصواب - إلى رجل مسمى بـ «مويس بن عمران» وقال: انه قال: لا فرق بين أن ينص الله على الحكم وبين أن يعلم أنه لا يختار إلا ما هو المصلحة، فيفوض ذلك إلى اختياره.

ثم قال في ص ٦٦٧: وقد تعلق مؤيس في نصرة قوله بأشياء: أولها قوله - تعالى - ﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾ فأضاف التحريم إليه. وثانيها: ما روي من أنه - عليه السلام - لما نهى عن التعرض لبنيت مكّة، قال له العباس: «إلا الأذخر يا رسول الله» فقال عليه السلام: - «إلا الإذخر» وهذا يدل على إضافة الحكم إلى رأيه. وثالثها: ما روي من قوله - عليه السلام -: «عفوت لكم عن الخيل والرقيق» فأضاف - عليه السلام - العفو إلى نفسه دون الوحي.

وقال في موضع آخر عند البحث عن دفع احتمال مدخلة اختيار المكلف في تعيين الواجب: فإن قالوا: ليس يمتنع أن يكون اختيار المكلف له علماً على وجوبه وتعيينه، قلنا هذا يؤدّي إلى مذهب مؤيس بن عمران . . . انتهى.

وذكر فيروزآبادي - المتوفى سنة ٨١٧ - في القاموس - ج ٢/٢٥٢ - ٢٥٣، ط مصر - : مؤيس - كأؤيس - ابن عمران، متكلم.

فعلى هذا يمكن أن يكون موسى بن عمران تصحيف مؤيس بن عمران.

وأيضاً ذكر شيخنا الطوسي - قدس سره الشريف - في كتاب تمهيد الأصول في علم الكلام ص ٣٦٨ عند البحث عن عدم جواز اختيار الامة الامام اذا علم الله - تعالى - انه لا يقع اختيار الامة إلا على المعصوم، قال: فان ارتكبوا جواز ذلك كما ارتكب موسى بن عمران. قيل لهم . . .

ثم ذكر المصحح في ذيل «موسى» اختلاف النسخ: في النسخة المحفوظة في المكتبة «آستان قدس» مشهد: «مونس» بدل «موسى»، وفي النسختين المحفوظتين في المكتبة المركزية بجامعة طهران: «مويس» بدل «موسى» وكان أساس التصحيح هذه النسخ الثلاثة، فعلى هذا لم أدر من أين ذكر المصحح في المتن «موسى» بدل «مويس» أو «مونس»؟!.

صَلَّى الله عليه وآله - كان يشرع^(١) بالنص تارة، وبالاختيار^(٢) أخرى. وأنه كان مفوضاً إليه القول في الأحكام بما شاء وكيف شاء.

ومنهم: أصحاب الرأي والاستحسان من متفقهة العوام - الذاهبين إلى أن النبي - صَلَّى الله عليه وآله - كان يحكم بالرأي ثم يرجع عنه، ويقول بالاستحسان ثم يتعقبه بالخلاف^(٣)، حسب ما يراه في كل حال.

ومنهم: مخالفوا الملة، من الزنادقة وأهل الذمة، فانهم جعلوا ذلك حجة لهم فيما طعنوا به في نبوته - صَلَّى الله عليه وآله.

فصل

وقد ذهب جميع من ذكرناه عن الصواب في مضمون الخبر، وأسسوا قولهم فيه على مبنى^(٤) ظاهر الفساد.

ولأمر النبي - صَلَّى الله عليه وآله - بقتل القبطي واشترط أمير المؤمنين - عليه السلام - الرأي فيه واستفهامه عن المراد، وجوه واضحة في الحق، لائحة لمن وقف عليها من ذوى الانصاف - أنا أذكرها على التفصيل، لتعلم أيها السائل بها ما التمسست علمه، وتبطل بها شبهة أهل الضلال، إن شاء الله.

فأول ذلك: أن أمر الحكماء في الاطلاق والتقييد، والاجمال والتفصيل بحسب معرفة المأمور، وحكمته وذكائه والاختصار^(٥)، فإن كان في الوسط منه

(١) م، ب، ي وط: يسرع.

(٢) م، ب وس: بالاخبار.

(٣) م، ب وى: بخلافه.

(٤) ليس في م، س، ي وب.

(٥) س: الاقتصاد، ي: الاحتصار.

احتاج إلى تأكيد وزيادة بيان^(١). وإن كان دون ذلك احتيج معه إلى الشرح والتفصيل والاعادة للمقام والتكرار، حالا بعد حال .
وبحسب الثقة به في الطاعة أيضاً، والسكون إلى سداذه يختلف ما ذكرناه.

فهذا بين يتفق عليه كافة أهل النظر وجهور العقلاء، فلا حاجة بنا إلى تكليف دليل عليه، لما^(٢) وصفناه .
فاذا كان الأمر فيه على ما قدّمناه لم يُنكر أن يكون النبيّ - صلى الله عليه وآله - أطلق الأمر بقتل القبطي - وإن كان الشرط لازماً - لعلمه بأن أمير المؤمنين - عليه السلام - يعرف ذلك ولا يحتاج فيه إلى ذكره له في نفس الكلام .

ولو كان غير أمير المؤمنين - عليه السلام - المأمور - ممن لا يؤمن عليه فهل^(٣) الشرط والتعليق^(٤) بمطلق الأمر بالاقدام، على غير الصواب - يقيد له^(٥) الكلام، بجعل^(٦) الشرط فيه ظاهراً، ولم يجد عنه محيصاً .
ولترك النبيّ - صلى الله عليه وآله - التقييد في الأمر فائدة في الإبانة عن فضل أمير المؤمنين - عليه السلام - على الجماعة، باظهار الاشتراط فيه والاستخبار عن المراد، لتعلم الجماعة انه قد عرف من باطن الحال ما كشفها لهم بالسؤال .

(١) م، ب وى: البيان .

(٢) ط: كما .

(٣) س وط: فوصل، ب: فهم - خ ل، لعل كلها تصحيف والصحيح: «فوت الشرط» أو «اهمال الشرط» .

(٤) ب، م، س وى: التعلق .

(٥) م وى: يفيد له . س وط: يقيد به .

(٦) ب، م، وى: ثم جعل .

ولأمير المؤمنين - عليه السلام - به فضيلة من جهة^(١) أخرى :
وهي رفع الشبهة عمّن لا بصيرة له بحق النبيّ - صلّى الله عليه وآله -
ومنزله من الله في غلظه ، وإقدامه على قتل من هو برىء محقون الدم عند الله ،
ليبين له مراده في الاشتراط ، ويعلمه أنه - وإن أطلق الأمر - فإنما قصد به
ما ظهر فيه بالبيان . ولو كان النبيّ - صلّى الله عليه وآله - اشترط في الكلام
ما كان فيه في الجواب لم^(٢) يُبين لأمير المؤمنين - عليه السلام - الفضل الذي
أبانه^(٣) الاشتراط والاستفهام .

ولو ترك أمير المؤمنين - عليه السلام - الاشتراط والاستفهام وعمل على
علم بالباطن وكفّ عن قتل القبطي لمشاهدته الحال ، لم يبين^(٤) من فضل
رسول الله - صلّى الله عليه وآله - للكافة ما أبانه الاستفهام ، ولظنّ كثير من
النّاس أنه - عليه السلام - أخطأ في الأمر المطلق بقتل الرجل ، وإن عليّاً
أصاب في خلافه الظاهر بشاهد الحال ، وكان في إطلاق النبيّ - صلّى الله
عليه وآله - الأمر لعليّ - عليه السلام - ، واستفهام أمير المؤمنين - عليه السلام
- له عن المراد وكشفه لذلك ما استنبطه من الكلام ، من الفوائد في فضلها
وعصمتها ونطقها عن الله - عزّ وجلّ - ما بيّناه عنه^(٥) وأوضحناه ، ولم يبق
لمخالف الحق طريق معه إلى إثبات شيء من الشبه التي تعلّق بها فيما حكيناه .
ووجه آخر : وهو أنه قد كان جازماً من الله تعالى أن يأمر نبيه - صلوات
الله عليه - بقتل القبطي على جميع الأحوال ، لدخوله بيت النبيّ - صلّى الله
عليه وآله - بغير إذنه له في ذلك ، وعلى غير اختيار منه له ورأي ، فاستفهمه

(١) «من جهة» ليس في م ، س ، ي وب .

(٢) ط : ثمّ لم ، ب : ثم .

(٣) «الفضل الذي أبانه» ليس في م ، س وط .

(٤) ط : لم يبين .

(٥) ب ، ي ، س وم : ما بيّناه عنه .

أمير المؤمنين - عليه السلام - لهذه الحال ، فأخبره بما عرف الحكم فيه وأنه غير مباح دمه على كل حال .

ويجوز ويمكن أن يكون الحكم فيه مفوضاً إليه^(١) - عليه السلام - فلما استفهمه أمير المؤمنين - عليه السلام - بأن له حال التفويض إليه . فقال : إن شاهدته بريئاً ، فلك فيه الرأي ، [وإن اقتضت الحال التي تشاهدها منه قتله أو العفو عنه فذلك إليك]^(٢) [٣] ، وقد فوضت ما فوض إليّ إليك ، فاعمل فيه بما تراه .

وهذا - أيضاً - مما دلّ الله - تعالى - به الأنام على مشاكلة أمير المؤمنين لنبية - صلوات الله عليهما - في العصمة والكمال ، ومشايبته^(٤) له في تدبير الدين والحكم في العباد .

ولو لم يقع الاطلاق في الأمر والاشتراط من أمير المؤمنين - عليه السلام - لما عرف ذلك ، حسب ما بيناه . والله الموفق للصواب .

فقال السائل : هذا قد فهمته ، وهو كلام واضح البيان في معناه ، فما القول في نقض شبه من قدمت ذكره في الضلال ؟

فقلت له : ثبوته على الوجه الذي أوضحت ، كافٍ في إبطال جميع تلك الشبهات ، إذ هي دعاوى مجردة من بيان ، لجأ أصحابها في التعلق بها إلى الاضطرار إليها ، لعدم الحجة بما ذكرناه لهم^(٥) فيها على زعمهم وتوهمهم الفاسد وظنهم المحال .

(١) أي إلى أمير المؤمنين - عليه السلام - .

(٢) س : إليه .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في ط .

(٤) م ، ي ، ط وب : مساهمته .

(٥) ليس في ي ، س ، م وب .

فاذا ثبت لمضمون^(١) الخبر من الأوجه الصحيحة ما أثبتناه، وكان في الامكان على ما ذكرناه، لم يكن للعدول^(٢) عنه طريق إلا التحكم^(٣) بالأمانى الخائبات، والحمد لله .

فقال السائل : هو كذلك ، ولا ينبغي للعاقل أن يظلم نفسه بمكابرة الحق واللجاج . وبالله التوفيق وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين .

* * *

(١) س، م وب : بمضمون، ط: مضمون .

(٢) ى، م وب : العدل .

(٣) بس : للتحكيم بالأمال . م وب : المتحكم بالامالى .

قال العلامة السيد جعفر مرتضى في كتاب حديث الإفك :

قضية مارية بين الأخذ والرد

مع الأجواء الطبيعية لقضية مارية .

دور عمر في قضية مارية : تبرئة أو اتهاماً .

براءة مارية . .

كلام السيد المرتضى .

أما نحن فنقول :

مع الأجواء الطبيعية لقضية مارية

وهكذا . . . فقد رأينا أن النصوص عند جميع المسلمين تكاد تكون متفقة على صورة قضية الأفك على مارية . . . ورأينا أيضاً : أن ما رواه الحاكم في مستدركه ، والسيوطي عن ابن مردويه وغير ذلك مما تقدم يقرب لنا : أن عائشة قد غارت من مارية ، ونفت شبه ابراهيم بأبيه (ص) ، رغم إصرار النبي (ص) على خلافها ورغم أنه كان أشبه الخلق به كما في الرواية الآتية عن الطبراني . . . مما يعني : أنها تؤكد على نفيه منه ، وحصول خيانة من مارية فيه . . . وكان الحامل لما على ذلك هو غيرها الشديدة ، حسب اعتراف عائشة نفسها . . .

ومما يجعلنا نطمئن إلى صحة ذلك الحوار ، وأن عائشة قد حاولت أن تلقي شبهة على طهارة مارية هو ما قالته عائشة نفسها عن حالتها مع مارية :

« . . . ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية ؛ وذلك أنها كانت جميلة جمدة . وأعجب بها رسول الله (ص) . . . إلى أن قالت : وفرغنا لها ، فجزعت ؛ فحولها رسول الله (ص) إلى العالية ؛ فكان يختلف إليها هناك ؛ فكان ذلك أشد علينا . ثم رزقه الله الولد وحرمناه (١) . . . » .

وعن أبي جعفر : « . . . وكانت ثقلت على نساء النبي (ص) ، وغرن عليها ، ولا مثل عائشة » (٢) .

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٥٣ ، والإصابة ج ٤ ص ٤٠٥ ، ووفاء الوفاء للسهودي ج ٣ ص ٨٢٦ ، ولترجيع البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .
(٢) طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦ ، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٩ .

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي عن موقف عائشة حين موت ابراهيم (ع) «... ثم مات ابراهيم ، فأبظنت شماته ، وإن أظهرت كآبة...» (١) .

وبعد كل ما تقدم . . فاننا نعرف أن أم المؤمنين قد ساهمت في إثارة الشكوك والشبهات حول مارية : وولدها ابراهيم .

ولعلنا نستطيع أن نفهم أيضاً من رواية السيوطي عن ابن مردويه : أن حفصة أيضاً قد شاركت في تأليب رأي النبي (ص) ضد مارية . . وأن النبي (ص) قد حرّم مارية على نفسه ، بعد المحاورة التي جرت بينه وبين عائشة . . وبعد جزعهما ، وعتاب حفصة له في شأنها . .

ويفهم أيضاً من رواية الحاكم أن تكثير الناس على مارية كان بعد المحاورة المشار إليها بين النبي (ص) وعائشة . .

وكل ذلك يجعلنا نطمئن إلى أن سبب تحريم مارية هو ما ذكر من الشبهات حولها . . لا مجرد أنه وطأها في بيت حفصة أو عائشة . . ولا سيما بملاحظة : أن آيات التحريم ، في سورة التحريم تدل على أن ما ارتكبه كان أمراً عظيماً جداً ، لا مجرد قول حفصة : « يا رسول الله في بيتي ، وعلى فراشي » ، فإن هذا كلام طبيعي : وليس فيه أي إساءة أدب ، أو خروج عن الجادة أصلاً . . ولا يستحق هذا التأنيب العظيم الوارد في الآيات . . وعلى هذا . . فإن الظاهر هو أن آيات تحريم مارية في سورة التحريم قد نزلت في قضية الشبهات حول مارية حينما حرّمها النبي (ص) على نفسه لذلك ، وأما آية الافك ، فتزلت في الافك عليها أيضاً .

دور عمر في قضية مارية تبرئة أو اتهاماً

ولقد احتمل بعض العلماء : أن عمر أيضاً قد شارك في إثارة الشبهات حول مارية بالإضافة إلى حفصة وعائشة . . . ومستنده في ذلك ما رواه الطبراني وغيره : في رواية تضمنت أن عمر هو الذي برأ مارية ، وأنه لما رجع إلى الرسول ، قال له الرسول (ص) : « ألا أخبرك يا عمر : إن جبرئيل أتاني فأخبرني : أن الله عز وجل قد برأ مارية ، وقريبها مما وقع في نفسي ، وبشرني : أن في بطنها مني غلاماً ، وأنه أشبه الخلق بي ، وأمرني أن أسميه ابراهيم . . . » (١) فقد احتمل المظفر استناداً إلى هذه الرواية أن لعمر بن الخطاب شأنًا في اتهام مارية ، وإلا . . فلماذا يخصه الرسول (ص) بهذه المقالة (٢) .

ولكننا بدورنا نقول : إن هذه الرواية محل إشكال . . لأن الروايات متضادة على أن براءة مارية كانت على يد علي عليه السلام . . . وهذه تقول : بل كانت على يد عمر .

وأجاب العقلائي ذلك باحتمال : أن يكون رسول الله (ص) قد أرسل عمر أولاً ، فأبطأ في العودة ، لأنه لما رآه ممسوحاً اطمأن وتشاغل

(١) دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ٢٦ عن كنز العمال ج ٦ ص ١١٨ ، والرواية موجودة في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٢ ، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، والاصابة ج ٣ ص ٣٣٥ عن ابن عبد الحكم في فتوح مصر . . .
(٢) دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ٢٦ .

ببعض الأمر : فأرسل (ص) علياً بعده ، ورجع علي فبشره (ص) بالبراءة ، ثم جاء عمر بعده فبشره بها (١) . . .

ولكن هذا التوجيه منه يحتاج إلى إثبات : وعلى الأقل إلى شواهد تؤيده . . . كما أن تلكؤ عمر في اخباره للنبي (ص) ، حتى يذهب علي ، ويكشف الأمر مرة ثانية : ويرجع ، بعيد عن التصرف الطبيعي في مناسبات حادثة كهذه .

وعليه . . . وبملاحظة التشابه بين هذه الرواية ، وبين ما يرد عن علي عليه السلام ، وبملاحظة : أن تبرئة علي لها مجمع عليها ، ولا شك فيها . . فنحن نرى : أن عمر لم يذهب إلى مأمور ، ولا شارك في تبرئة مارية . . فيبقى قولهم : ان النبي (ص) قال له : ألا أخبرك يا عمر الخ . . فهو إن صح فهو ابتداء كلام معه ، وحينئذ فيحتاج ما ذكره المظفر إلى الجواب .

براءة مارية

لقد مر علينا آنفاً : أن الرسول (ص) يخبر عمر بن الخطاب بأن جبرئيل قد أخبره أن الله قد برأ مارية . . وقد يمكن أن يفهم من ذلك : أن هذا يؤيد كون آيات الألفك قد نزلت في شأن مارية . . وأن الله تعالى قد برأها بواسطتها . . وإلا فما معنى تبرئة الله تعالى لها فيما سوى ذلك . . إذ ان براءتها قد ثبتت على يد علي عليه السلام . . فتبرئة الله تعالى لها ، لا بد وأن تكون بنحو آخر ، غير ما فعله علي عليه السلام . . وليس إلا نزول آيات الألفك في شأنها . .

هذا . . . ويبدو أن الشك في شأن مارية قد استمر إلى حين وفاة ولده ابراهيم ، وأنه قد كان ثمة من يصر على الاتهام ، ولو بالخفاء لها ولعلها عائشة التي يقول عنها المعتزلي : أنها أظهرت كآبة ، وابطنت شماتة . . كان يهيمها هذا الأمر . . ولذا نجد النبي (ص) حتى حين موت ولده ابراهيم يؤكد على أن ابراهيم هو ولده : فقد روى في صحيح مسلم : « . . . لما توفي ابراهيم قال رسول الله (ص) : إن ابراهيم ابني وانه مات في الثدي ، وان له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة . . » (١) . فليس لقوله (ص) : « إن ابراهيم ابني » أي معنى إلا أنه أراد أن يقوم بمحاولة أخيرة . لدفع كيد الآفكين ، وشك الشاكين . .

كلام السيد المرتضى

واشكل السيد المرتضى على الرواية الأخيرة ، من روايات الأفك على مارية : بأنه كيف جاز لرسول الله (ص) الأمر بقتل رجل على التهمة بغير بينة ، ولا ما يجري مجراها ؟

وأجاب : بأن من الجائز أن يكون القبطي معاهداً ، وأن النبي كان قد نهاه عن الدخول إلى مارية ، فخالف وأقام على ذلك . وهذا نقض للعهد ، وناقض العهد من أهل الكفر مؤذن بالمحاربة : والمؤذن بها مستحق للقتل . . وإنما جاز منه (ص) أن يخير بين قتله والكف عنه ، وتفويض ذلك إلى علي (ع) . لأن قتله لم يكن من الحدود والحقوق ، التي لا يجوز العفو عنها ؛

(١) صحيح مسلم ط مشكول ج ٧ ص ٧٧ ، وفتح الباري ج ٣ ص ١٤٠ ، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٦ .

لأن ناقض العهد إذا قدر عليه الإمام قبل التوبة له أن يقتله ، وله أن يعفو عنه .
وأشكل أيضاً : بأنه كيف جاز لأمر المؤمنين (ع) الكف عن القتل ،
ومن أي جهة أثره لما وجدته أجب ؟ وأي تأثير لكونه أجب فيما استحق به
القتل ، وهو نقض العهد؟ ! . .

وأجاب : بأنه كان له (ع) أن يقتله مطلقاً ، حتى مع كونه أجب ، ولكنه (ع)
أثر العفو عنه ، من أجل إزالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ، ولأنه
أشفق من أن يقتله ، فيتحقق الظن ، ويلحق بذلك العار (١) :

أما نحن فنقول :

إن الجواب عن الإشكال الأول . . محل تأمل فقد صرحوا بأن مأبوراً
قد أسلم في المدينة . . إلا أن يقال : أنه أسلم بعد قضية مارية . ولكن : من
القريب جداً : أن النبي لم يكن أمره بالقتل على الحقيقة ، وإنما كان ذلك مقدمة
لإظهار البراءة الواقعية لمارية ، فأراد علي أن يثبت من قصد النبي هذا فسأله
بما يدل عليه : وأجابه النبي بذلك أيضاً . . ولعل هذا الاحتمال . . أولى مما
ذكره السيد المرتضى : لأن ما ذكره السيد يحتاج إلى إثبات المعاهدة لمأبور
. . ولا مثبت . . أما هذا فهو موافق للسنة الجارية في أمور مثل هذه يحتاج
فيها إلى الكشف واليقين ، ورفع التهمة ولا سيما وإن الآيات - آيات الإفك -
إنما تدل على البراءة الشرعية : فنتحتاج إلى ما يدل على البراءة الواقعية أيضاً.
ويؤكد هذه البراءة الواقعية : أن مأبوراً - كما يقولون - كان أخاً لمارية ،
وكان شيخاً كبيراً (٢) .

(١) راجع أمالي السيد المرتضى ص ٧٧ - ٧٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٥٣ ، والإصابة ج ٤ ص ٤٠٥ وج ٣ ص ٣٣٤ .

وقال النووي في مقام الجواب عن الإشكال المتقدم : « ويل : لعله كان منافقاً ، ومستحقاً للقتل بطريق آخر ، وجعل هذا محرّكاً لقتله بنفاقه ، وغيره ، لا بالزنا . . وكف عنه علي رضي الله عنه اعتماداً على أن القتل بالزنا . وقد علم انتفاء الزنا . . (١) » .

ولكن قد فات النووي : أن الزاني لا يستحق القتل أيضاً . وإنما الجلد أو الرجم . . إلا أن يقال : إن من يعتدي على حرّيات النبي (ص) حكمه ذلك . . وخلاصة الأمر : أن إثبات نفاقه أيضاً يحتاج إلى مثبت . . وليس . . فلم يبق إلا ما أجبنا به نحن ، فإنه هو الأنسب والأظهر . .

* * *